٤٦٦

ما الحكمة في الذبح[1] ؟

من صاحب الإمضاء، بلوندره، أحمد زكي أبو شادي بمستشفى سانت جورج:

سيدي الاستاذ العزيز صاحب المنار . طلب إليّ أحد أصدقائي أن أنقل إليكم السؤال الآتي راجياً منكم أن تتفضلوا بالإجابة عليه في « المنار » الأغر : ما هي الحكمة من الذبح ؟ اذا كان الغرض عدم تعذيب الحيوان فهنـــاك طرق أوفق بكثير من الذبح الذي لا يخلو بلا شك من التعذيب حتى باستعمال أحـدّ سكين ، دع عنك ان الذبح يؤدي الى تصفية أعضـاء الجسم من الدم الذي هو مادة مفيدة للغذاء ومحتوية على الجزء الأكبر من الحديد .

لوندرة في ١٣ مايو سنة ١٩١٣ .

ج — ليس الذبح أمراً ابتدأ الإسلام إيجابه على أهله لحكمة فيه يطلبهـا او فائدة يكلف الناس الانتفاع بها ، وإنما جاء الإسلام والناس على عادات في أكل الحيوانات ، بعضها لا علاقة له بالدين وبعضها من تقاليده الخرافية ، فمنـع القسم الأخير البتة وهو الذبح للاصنام ونحوها وعلى النـُصب تعبداً وتديناً . وحرم من القسم الأول ما يستخبث عند أصحاب الطباع السليمة ويستقذر ، وهو على مهانة أكله مظنة الضرر ، وهو الميتة والدم المسفوح ولحـم الخنزير ، كما حرم تعذيب

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٤٣٢ .

الحيوان بالوقذ وغيره، وأمر بالرفق والإحسان به بقدر الطاقة ، وحرم الموقوذة – التي تضرب بغير محدد حتى تنحل قواها وتموت – فجعلها من الميتة ، وكذا ما اعتاده بعض فقراء العرب المتهتنين من أكل فرائس السباع والنطائح ومـــا يتردّى في الوديان والحفر فيوجد ميتاً. إلا ما وقع من ذلك أمام أعينهم فأدركوا فيه حياة فأزهقوا روحه بأيديهم ، فان أكله ليس فيه من مهانة النفس وضعتها وتعريضها للضرر ما في أكل ما يوجد منه في الفلوات والوديان مترديا او مفترساً مثلاً . ثم أباح لهم ما وراء ذلك مما لا مهانة فيه ولا مظنة ضرر ، وأقرّهم على ما اعتادوا من أنواع تذكيته وصيده ، فكانوا ينحرون الحيوان الكبير في لبته كالبعير والثور ويذبحون الصغير إذا قدروا عليه وإلا قتلوه بسهم او حربة ، ويأكلون ما صادوه بأيديهم ورماحهم وسهامهم ومعاريضهم ومـــا صادته لهم الجوارح فجاءتهم به ميتاً . وتجد تفصيل ذلك في باب التفسير من هذا الجزء وما بعده[1] ، مع النص باحلال الإسلام له كله .

٤٦٧

متى يحرم الوقاع[1]؟

من صاحب الإمضاء محمد بصري الصولوي الجاوي المجاور بمكة المكرمة :

ما قولكم ، دام إرشادكم ، في قول العلامة الفاضل ، والقدوة الكامل، الشيخ ابراهيم الباجوري رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، في حاشيته على شرح العلامة ابن قاسم الغزي المسمى بفتح القريب في باب محرمـــات النكاح (صحيفة ١١٣ من السطر ٢٠) ما نصه « أما التحريم غير الذاتي وهو العارض بسبب حيض ، او احرام او صوم ، او نحو ذلك » ما المراد منه وما معناه، فهل المراد ان الحائض

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٤٠١– ٤٢٦ : وص ٤٨١ – ٥٠٤ .
(٢) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٢٠ .

او الصائمة يحرم نكاحها كما هو صريح كلامه أم لا ، وقد أوهم بعضهم أن المراد منه يحرم نكاحها حتى أفتى بذلك ، بيّنوا لنا بياناً شافياً وافياً لأن المسئلة واقعة كل عام . مستمد الدعاء .

ج – المراد بالتحريم هنا تحريم الوقاع لا تحريم عقد النكاح ، والأمر ظاهر. ولذلك حذفنا ما أطلتم به في السؤال من مقابلة كتب الشافعية بعضها بعض .

٤٦٨

قصص القرآن وكتب العهد العتيق[1]

س – كتب الينا الدكتور أخنوخ فانوس القسيس الانجيلي القبطي سؤالاً مطولاً يبين فيه مخالفة بعض قصص القرآن (كقصة داود وطالوت) لما في أسفار العهد العتيق من تاريخ اليهود ، ويعدّ هذا شبهة على صحة ما جاء في القرآن العزيز .

ج – وجوابه بالايجاز ان القرآن منزل من عند الله تعالى، وخبر الله تعالى أصح من أخبار مؤرخي اليهود سواء منها ما تسمى مقدساً لاشتماله على أخبار الأنبياء كسفر القضاة وسفر الأيام وما لم يسم مقدساً كتاريخ يوسيفوس . وإننا نرى أهل ملة السائل يجيبون عما خالف العهد الجديد به كتب اليهود بأن كتبته ما كانوا يلتزمون عبارات تلك الكتب بل روح معناها . أما نحن المسلمين فلا ثقة لنا بلفظها ولا بمعناها، ولا مزية لها عندنا على غيرها من التواريخ القديمة ، والجديدة تفضلها ، ومع هذا نرى فيها كذباً كثيراً ، فهل يعارض بمثلها كتاب الله المعصوم ؟

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٢٠

أسئلة من بلدة العطف (في القطر المصرى) من أحمد علي الطباخ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه :

إلى جناب ينبوع الفضائل ، ومتبوع الأفاضل ، الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا مد الله في مدته ! السلام عليكم ورحمة الله .

أما بعد فإني سائلكم ، لا عدمكم المسلمون ، عن أمور اشتدت الحاجة اليها نلتمس إجابتنا عنها بمناركم الأنور ولكم من الله تعالى الجزاء الأوفر .

س ١ — فنسألكم عن آلات الملاهي من طبـــول ومزامير وذوات أوتار وفونوغراف هل فيها قول يجوز تقليده ؟ فإنا نجد في بعض كتب المالكية وبعض رسائل كرسالة الشيخ النابلسي وكرسالة للأمير المالكي ذكر قول بالجواز مـع إيراد ما يشعر بجواز العمل به .

س ٢ — وهل يعول على ما يذكره بعض الأئمة من ان من قال كذا شعراً نال كذا أجراً ، كقول الشعراني : من قال عقب كل صلاة جمعة :

إلهي لست للفردوس أهلا ولا أقوى على نار الجحيم
فهب لي توبة واغفر ذنوبي فأنك غافر الذنب العظيم

خمس مرات توفي مؤمناً بلا شك . نقـله عنه الباجوري في حاشيته على أبي شجاع الشافعي ؟ فإن قلتم : نعم . فما مستند ذلك ومثله إنما يؤخذ عن الشارع ، ولم ينقل عنه فيما أعلم انه وعد على شعر بأجر خاص ؟ وان قلتم لا ، فكيف استجاز الأئمة ذكر ذلك مع ان منهم المجمع على جلالته كالسيوطي فقـد أورد من هذا شيئاً في كتاب الأرج في الفرج ؟

س ٣ — هل يجوز لبس شيء شك في انه حرير دودة او حرير زراعة؟ وهل من علامة تميز بينهما او يرجع في ذلك لذوي الخبرة بهذا الشأن ؟

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٣ - ٥٨٤ .

س ٤ – هل يحرم شرب الدخان في مجلس القرآن؟ ان قلتم : نعم ، فهل هو إجماعي أو ثم قول يجوز تقليده بالحل ؟ وهل ضابط المجلس العرف أو ما هو ؟ فإن القراء قد يختصون بنحو دكة والسامعون معهم في نحو خيمة واحدة على دكك أخرى فيشرب البعض تعللاً بأن المجلس إنما هو محل القارئين والعرف يأبى ذلك ، وما دليل تحريم الشرب المذكور مع حدوث الدخان بعد زمن النبوة ؟

نلتمس الإجابة عن ذلك لا برحتم ملجأ للسائلين المبتغين سواء السبيل آمين .

٤٦٩

سماع آلات الطرب[1]

ج ١ – بيّنا في الجزأين الأول والثاني من مجلد المنار التاسع[2] خلاف العلماء في سماع آلات الطرب وأدلة من حظرها وأدلة من أباحها والترجيح بينها، فعلم من ذلك أن سماعها مباح لذاته، وقد يعرض له الحظر إذا ترتب على السماع معصية ، فليرجع السائل الى ما نشرناه هنالك عسى أن يعرف الحق في المسألة بدليله .

٤٧٠

الثواب المعين على إنشاد شعر معين[3]

ج ٢ – ما ذكر في السؤال شيء لا دليل له من أدلة الشرع فلا يعول عليه ولا يلتفت إلى ناقله كائناً من كان ، ولا يقبل كلام أحد في ثواب الآخرة وعقابها إلا بدليل عن الله تعالى ورسوله ﷺ ، وان الشعراني الذي نقل عنه الباجوري ذلك القول في البيتين ليس من الأئمة المجتهدين ، ومن اتفق الناس على إمامتهم في فقه الدين ليس كلامهم حجة ولا شرعاً بالإجماع، وإنما معنى إمامتهم أن لهم مسالك في

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٤ . انظر أعلاه فتوى رقم ١٨٥ .
(٢) وردت « العاشر » في المنار ، وهو خطأ .
(٣) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٤ .

فهم النصوص والاستنباط منها وترجيح متعارضها قد استفاد منها الناس وتبعوهم فيها وهي التي سميت مذاهب .

٤٧١

لبس المشكوك فيه هل هو حرير أم لا[١]

ج ٣ – من شك في ثوب هل هو حرير محرم أم لا يجوز له أن يلبسه لأن الحرمة لا تثبت بالشك، والاحتياط أن لا يلبسه حتى يراجع أهل المعرفة ويخرج من الشك الى اليقين . والعبرة في مثل هذا بأهل الخبرة الذين يوثق بمعرفتهم .

٤٧٢

شرب الدخان في مجلس القرآن وحكم شربه[٢]

ج ٤ – قد سبق لنا افتاء عن هذا السؤال . ونقول الآن بالايجـــاز : تعظيم القرآن واحترامه واجب قطعاً، وإهانته محرمة قطعاً بل يكفر متعمدها والعمدة في ذلك القصد ويجب فيه مراعاة العرف . والأصل في الدخان الحل إلا إذا كان ضاراً ، إذ يحرم تناول كل ضار بالاجماع .

٤٧٣

الحلف بالرسول والحلف بغير الله[٣]

من صاحب الإمضاء بمصر علي يوسف المحامي بمصر (ورد من عدة سنين ونسي)

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار سأل سائل

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٤٨٤ .

(٢) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٤ – ٥٨٥ .

(٣) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٥ – ٥٨٦ .

الحلف بغير الله تعالى فقال قوم يجوز الحلف برسوله ﷺ فأنكرت ذلك لعدم مشروعيته، فنسب آخر للمنار تقرير جواز الحلف بغير الله تعالى من نبي وولي. فأسأل من فضيلتكم بيان الحق بهذه المسألة على صفحات المنار بدون احالة على أعداد سابقة خدمة للدين المبين واقبلوا في الختام سلام واحترام.

حاشية — وأرجو بيان حكم الحلف بغير الله تعالى.

ج — صح في الأحاديث المتفق عليها ان النبي ﷺ نهى عن الحلف بغير الله، ونقل الحافظ ابن عبد البر الإجماع على عدم جوازه. قال بعضهم: أراد بعدم الجواز ما يشمل التحريم والكراهة فان بعض العلماء قال: إن النهي للتحريم وبعضهم قال إنه للكراهة. وبعضهم فصل فقالوا: إذا تضمن الحلف تعظيم المحلوف به كما يعظم الله تعالى كان حراماً وإلا كان مكروهاً. أقول: وكان الأظهر أن يقال ان المحرم أن يحلف بغير الله تعالى حلفاً يلتزم به فعل ما حلف عليه والبر به، لأن الشرع جعل هذا الالتزام خاصاً بالحلف به أي بأسمائه وصفاته، فمن خالفه كان شارعاً لشيء لم يأذن به الله. وبهذا يفرق بين اليمين الحقيقي وبين ما يجيء بصيغة القسم من تأكيد الكلام وهو من أساليب اللغة. وقد قالوا بمثل هذه التفرقة في الجواب عن قول النبي ﷺ للأعرابي «أفلح وأبيه إن صدق» فقد ذكروا له عدة أجوبة منها نحو ما ذكرناه، قال البيهقي: إن ذلك كان يقع من العرب ويجري على ألسنتهم من دون قصد للقسم، والنهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف. قال النووي في هذا الجواب: إنه هو الجواب المرضي. وأجاب بعضهم بقوله إن القسم كان يجري في كلامهم على وجهين للتعظيم وللتأكيد، والنهي إنما وقع عن الأول. وأقول إن هذا عندي بمعنى قول البيهقي. وقيل إنه نسخ، وقيل إنه خصوصية للنبي ﷺ وقد ردوهما. والظاهر ان ما كان من حلف قريش بآبائها كان يقصد به التعظيم والتزام ما حلف عليه، ولذلك كان من أسباب النهي وإلا فلأنهم مشركون غالباً. روى أحمد والشيخان في صحيحهما عن ابن عمر ان النبي ﷺ سمع عمر وهو يحلف بأبيه فقال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو يصمت». وفي

لفظ « من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله – فكانت قريش تحلف بآبائها فقال : لاتحلفوا بآبائكم » رواه مسلم والنسائي . وروى الشيخان عنه أيضاً « من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله » رفعه الى النبي ﷺ وهو حصر ، وفي معناه حديث أبي هريرة عند أبي داود والنسائي وابن حبان والبيهقي مرفوعاً «لا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون » .

فهذه الأحاديث الصحيحة ولا سيما مـــا ورد بصيغة الحصر منها صريحة في حظر الحلف بغير الله تعالى ، ويدخل النبي ﷺ في عموم « غير الله تعالى » ، والكعبة وسائر ما هو معظم شرعا تعظيما يليق به ولا يجوز أن يعظم شيء كما يعظم الله عز وجل ، ولا سيما التعظيم الذي يترتب عليه أحكام شرعية ، ولقد كان غلو الناس في أنبيائهم والصالحين منهم سبباً لهدم الدين من أساسه وإستبدال الوثنية به . ونسأل الله الاعتدال في جميع الاقوال والافعال .

٤٧٤

ترك العمل يوم الجمعة[1]

من صاحب الامضاء بمصر احمد حمدي النجار .

سيدي العلامة المفضال السيد محمد رشيد افندي رضا حفظه الله. ربما علمتم بحركة تجار دمشق واتفاقهم على اغلاق حوانيتهم ومحلاتهم في كل يوم جمعة، ولكن هذا لم يرق لبعض المشاغبين كالشيخ عبد القادر الخطيب المعلوم عند سيادتكم وامثاله، فتكلموا مع الوالي بعدم صلاحية ذلك وإجبار التجار على الشغل في ذاك اليوم، فطلب الوالي بعضاً من التجار وخاطبهم بهذا الشأن استحساناً لاجبراً فما قبلوا. فلما رأى الشيخ عبد القادر الخطيب الموما اليه ان سعيه لدى الوالي لم يفده بشيء خطب في الجامع الاموي وقال إنه لا يجوز الاغلاق في يوم الجمعة، واستدل بقول الخفاجي على انه تشبه باليهود والنصارى، وأورد الآية الكريمة الواردة بحق يوم الجمعة وانه لطلب الرزق الى آخر ما املاه عليه ضميره . فالمسألة اخـــذت

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٥٨٦ - ٥٨٧ .

دوراً مهماً في دمشق لذلك كتب الي جماعة من التجار يطلبون ان اعرض هذا الامر لفضيلتكم ونقدم لهم النصوص الواردة في يوم الجمعة ومن علماء المذاهب الاربع في الازهر ونرد اليهم ذلك حالاً . فلذا لكوني اعتبرت واعتادت الأمة الإسلامية الاستنارة بعميم فضلكم ارجوكم التفصيل بكتابة ما ورد بحق يوم الجمعة . وسبق منذ ثلاثة سنين سألت فضيلتكم مثل هذا السؤال من السودان واجبتم عليه في المنار وبه عمل ، فادام الباري فضيلتكم سيدي .

ج — سبق للمنار بيان هذه المسألة وفصلنا القول فيما ورد في يوم الجمعة في مقالات (المسلمون والقبط) التي جردت من المنار وطبعت في رسالة على حدتها فيمكنكم إرسال نسخة منهـا أو أكثر إلى من كلفوكم أن تسألونا عن النصوص الواردة في يوم الجمعة . هذا وان قول الشيخ عبد القادر الخطيب إنه لا يجوز إغلاق المحلات التجارية يوم الجمعة - ان صح عنه غريب جداً — لا من حيث أنه اجتهاد منه وهو يحرم الاجتهاد في هذا العصر ، فإن هذا ديدن جميع الذين يلغطون بالإنكار على المصلحين الذين يدعون الناس الى الاهتداء بالكتاب والسنة يزعمون أن هذا الاهتداء يستلزم الاجتهاد الذي أغلق أمثالهم بابه بالقول ، فهم ينكرون الإجتهاد قولاً ثم نراهم يحرمون على الناس بأهوائهم ما أحله الله لهم ويستدلون على ذلك بما لا يدل عليه من الآيات والأحاديث ، وهو عين مـا ينكرون من الاجتهـاد . والاهتداء بالكتاب والسنة الذي يدعو اليه المصلحون لا يستلزم مثل ذلك فانه قد يكون مع الاستعانة على فهمها بكلام ثقات المفسرين والمحدثين.

فإذا كان من يدعي تحريم إغلاق المحلات التجـارية يوم الجمعة أو كراهته شرعاً مقلداً لأحد الأئمة فليأتنا بنص من كلامه أو نقل ثقات أصحابه المدونين لمذهبه في ذلك ، وإن كان مجتهداً فلكل أحد أن يسأله عن دليله . وفي السؤال انه استدل على ذلك بقول الخفاجي أنه تشبه باليهود والنصارى وهـذا غير صحيح بل هو مخالفة لهم ، لأن اليهود يتركون العمل يوم السبت وخالفهم النصارى فتركوا العمل يوم الأحد ، فلو قال فيمن يتركون العمل يوم الأحد من المسلمين في بلاد مصر وبيروت أنهم تشبهوا بالنصارى لكان له وجه . وأما من يتركون العمل

يوم الجمعة فلا وجه لدعوى أنهم متشبهون بهم إلا إذا صح الاستدلال بالشيء على ضده . فان تشبه الإنسان بقوم إنما هو أن يفعل مثل فعلهم بحيث يشتبه حاله بحالهم فيظن من لا يعرفه أنه منهم . ولا يقول عالم ولا عاقل أن التشبه بأجناس العمل العامة يكون محل بحث ، وإلا لكان من مقتضى عموم التشبه أن تترك كل أعمال العمران التي سبقونا إليها من فنون وضروب الصناعة والزراعة والتجارة. وقد فصلنا مسألة تشبه المسلمين بغيرهم غير مرة ومن أوسعها بيانا الفتوى ٦٩ من المجلد الرابع عشر[1] فليراجعها من شاء .

اسئلة من البحرين[2]

« عن حكم الحج وترك الملوك والامراء وبعض العلماء له »

لصاحب الامضاء بجزيرة البحرين ناصر مبارك الخيري .

بسم الله الرحمن الرحيم. الى حضرة سيدي العلامة المصلح العليم مرشد الامة ورشيدها الفيلسوف الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير ادام الله تعالى شريف وجوده وسلام الله عليك ورحمته ورضوانه . وبعـــد فالداعي لتحريره عرض مسئلة عرضت لنا في هذه الأيام وهو اننا عشرة أشخاص نوينا هذه السنة التوجه لحج بيت الله الحرام ، والتمتع بمشاهدة مهد الاسلام ، وبهذه المناسبة صار بيننا جدال وكلام كثير بخصوص الحج ومناسكه فألجئنا الى طلب الاستهداء من حضرتكم لارشادنا إلى السبيل الأقوم والصراط المستقيم ، فعليه قدمنا هـــذا الكتاب مؤملين فيه الجواب من حضرتكم على هذه الأسئلة وهي : علمنـــا ان الله سبحانه وتعالى قد اختار لنا الاسلام ديناً وجعل هـــذا الدين مقاماً على خمسة أركان رئيسية وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة،

---

(١) المنار ج ١٤ (١٩١١) ص ٩٠٧ – ٩١١ . انظر اعلاه فتوى رقم ٤٢١

(٢) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٧٥ – ٦٧٧ .

وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج إلى بيت الله الحرام من استطاع اليه سبيلا . هذه هي الخمسة الأركان التي لا يكمل الاسلام إلا بها — وبفضل المنار المنير وباقي كتب العلماء المصلحين الأفاضل قد فهمنا المقاصد والحكم من الصلوات والزكاة والشهادتين والصيام كما قد فهمنا المقصد من الحج على الوجه العام ، ولكن اسمح لنا يا حضرة المفضال الحكيم ان نقول ان في الحج بعض أعمال لم نعرف الحكمة منها فلذلك جئنا بهذا الكتاب نلتمس منك هدايتنا إلى ما جهلناه وهو :

١ — ما هي الحكمة في الاجتماع على تقبيل الحجر الاسود اذ عرفنا انه حجر عادي لا يضر ولا ينفع ولا يخفى ما في ذلك من المظاهرة الوثنية . ؟

٢ — ما الحكمة في رمي الحجارة (الجمار) في القليب (؟) في (مزدلفة)؟

٣ — ما الحكمة في الهرولة بين المروتين ؟

٤ — ما المقصد في ذبح الذبائح على كثرتها ودفن لحومها في (منى) وفي ذلك ما فيه من النتائج الوخيمة التي تصدر من تعفن اللحوم إذ تنتشر الأوبئة منها ، ولماذا يمنع الناس من أكلها ؟ وهل ذلك لازم ومن المناسك التي لا يتم الحج إلا بها على هذه الصورة ؟ ولا يخفاكم مبلغ النقود الطائلة التي يدفعها الحجاج سنوياً ثمناً لهذه اللحوم إذ هي لا تقل عن خمسين ألف جنيه فما قولكم لو صرفوا هذه المبالغ على إصلاح آبار مكة وطرقها وتكثيرها وتنظيفها وعلى كل ما يعود على الحجاج بالراحة والصحة والسلامة .

٥ — لماذا أقاموا دون عرفه بنائين عن اليمين والشمال تعرف بالعلمين وكل من لم يكن خلف هذين البنائين ليس مقبول الحج مع أنه تكلف العناء ووصل الى ما دونهما ؟ ولماذا يكون من خلفها مقبول الحج وهو في لهوه ولعبه وممارسة ما اعتاده في بلاده من الأعمال؟ ومن كان دونها غير مقبول ولو كان على غير ذلك ؟ وهل هذان البناءآن حدّ فاصل بين الله والناس أو بين الجنة والنار .

٦ — نرى كثيراً من علماء الأمة الإسلامية ومرشديها المصلحين منهم من

عاش ومات وهو لم يحج، مع أنه ربما رحل في سنته مرتين أو ثلاثاً الى أوروبا أو إلى غيرها من البلاد ولم يذهب الى مكة مع أنه كان الألزم والأوجب أن يقصد مكة والحج كل موسم للنصح والإرشاد . فهذا ساكن الجنان الأستاذ الإمـــام والمرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي وغيرهم عاشوا وماتوا وهم لم يروا مكة في وقت الحج. وحضرتك أيضاً كذلك. فما هي الأسباب يا ترى؟ونحن نعتقد ان امتناعكم جميعاً عن الحجّ لا بد له من سبب ، فما هو ذلك السبب العظيم الذي يمنع رجال الإصلاح العظام عن الحج المقدس ؟

٧ ــ وكذلك نرى ان جميع ملوك الاسلام وأمراءه وأغنياءه لا يحجون ولا نرى الحجاج سواهم إلا من فقراء الهند والصين والروسيا وجاوا وبلاد العرب كمصر وتونس وسوريا والعراق وغيرها . وهذا كثير من سلاطين آل عثمان (الخلفاء) وأمراء البيت السلطاني وأعاظم الرجـــال من الوزراء والحكام والأغنياء المشار إليهم بالبنان كلهم لا يحجون ولا يدور في خلد أحدهم أن يحج ، فما هو السر في ذلك يا ترى . وكم عجبنا لما سمعنا بحج أمير مصر قبل سنتين وكثر تحدث الناس في ذلك حتى تجرأ أحدهم فقال : ان المقصود من حج العزيز غرض سياسي ورحلة في جهات الحجاز لا غير وليس له مقصد في الحج قطعـاً . هذا ما وجهناه لحضرتكم ملتمسين التنازل بمجاوبتنا عليه ولك يا سيدنا الخيار في المجاوبة ان تكون على صفحات المنار أو كتاب مخصوص . واذ كانت في المنار تكون أعم وأنفع . وان أردت أن تجاوب على بعضها في المنار وبعضها كتابة مخصوصة فالأمر اليك ، ونحن قد اتكلنا بعد الله عليك ، ولنا كبير الأمل ان حضرتك تهدينا الى سواء السبيل لا سيما وحجنا يتوقف على جوابكم لأنه لا يخفاك اننا نقصد الحج نطلب الأجر والغفران ، لا الإثم والخسران ، فامط لنا بمـــا أعطاك الله من سعة العلم نقاب الباطل عن وجه الحقيقة أدامك الله سراجاً يهتدي به من ضل عن محجة الصواب والسلام عليك .

٤ شعبان سنة ١٣٣١ الى مصر القاهرة

أجوبة المنـــار : قد سبق لنا القول في مجلدات المنار السابقة عن حكم الحج

جملة وتفصيلا ، والانتقاد على ملوك المسلمين وأمرائهم أنهم تركوا هذه الفريضة ، وعذر الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تأخير هذه الفريضة الى أن وافاه أمر ربه وكون عذرنا عين عذره . وما نظن ان السائل واصحابه الذين أشار اليهم قد علقوا حجهم على جواب هذه الاسئلة، ولعله قال ذلك لنبادر الى الجواب عنها ، وهـا نحن أولاء نبادر الى ذلك، وإن كان لدينا كثير من الاسئلة مقدمة عليها في التاريخ .

٤٧٥

حكمة تقبيل الحجر الاسود[1]

ج ١ – مـا ذكره السائل في تقبيل الحجر الاسود قد سرى اليه من شبهات النصارى والملاحدة الذين يشككون المسلمين في دينهم بأمثال هذا الكلام المبني على جهل قائليه من جهة وسوء نيتهم في الغالب من جهة أخرى. ومن عرف معنى العبادة يقطع بـأن المسلمين لا يعبدون الحجر الاسود ولا الكعبة ولكن يعبدون الله تعالى وحده باتباع ما شرعه فيهما . بل كان تكريم الله تعالى لبيته ان صرف مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين والكتابيين الذين كانوا يعظمونه قبل الاسلام عن عبادته . وقد وضعوا فيه الاصنام وعبدوهـا فيه ولم يعبدوه . ذلك ان عبادة الشيء عبارة عن اعتقاد ان له سلطة غيبية يترتب عليها الرجاء بنفعه لمن يعبده أو دفع الضرر عنه ، والخوف من ضره لمن لا يعبده أو يقصر في تعظيمه ، سواء كانت هذه السلطة ذاتية لذلك الشيء المعبود فيستقل بالنفع والضرر أو كانت غير ذاتية له بأن يعتقد انه واسطة بين من لجأ اليه وبين المعبود الـذي له السلطة الذاتية. ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد ان الحجر الاسود ينفع أو يضر بسلطة ذاتية له ، ولا أن سلطته تقريب من يعبده ويلجأ اليه الى الله تعالى ، ولا

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٧٧ - ٦٨١ .

كانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك وتقوله في الحجر كما تقول في أصنامها « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » هؤلاء شفعاؤنا عند الله (١) » وانما عقيدة المسلمين في الحجر هي ما صرح به عمر بن الخطاب (رض) عند تقبيله، قال « إني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » رواه الجماعة كلهم — أحمد والشيخان وأصحاب السنن وقد بينا في المنار من قبل ان هذا القول روي أيضاً عن أبي بكر (رض)، وروي مرفوعا الى النبي ﷺ، وان أثر عمر كان العمدة في هذا الباب للاتفاق على صحة سنده . قال الطبري : إنما قال عمر ذلك (أي مع انه معلوم من الدين بالضرورة) لان الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الاصنام فخشي ان يظن الجهال أن استلام الحجر الاسود من باب تعظيم الاحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية ،فاراد ان يعلم الناس ان استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته اهـ .

فان قلت روى الحاكم عن ابي سعيد الخدري ان عمر لما قال له علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : انه يضر وينفع ، وبين ذلك بأن الله لما أخذ الميثاق على ولد آدم كتب ذلك في رق وألقمه الحجر، وانه سمع النبي ﷺ يقول « يأتي يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد » فالجواب ان هذا الحديث باطل، انفرد بروايته عن ابي سعيد ابو هارون عمارة بن جوين العبدي ، واهون ما قيل فيه انه ضعيف، وكذبه حماد بن زيد ، وقال يحيى بن معين: ضعيف في حديثه، وقال الجوزجاني: ابو هارون كذاب مفتر، وقال ابن حبان: يروي عن ابي سعيد ما ليس من حديثه، وقال شعبة : كنت أتلقى الركبان أسأل عن أبي هارون العبدي فقدم فرأيت عنده كتابا فيه اشياء منكرة في علي (رض)، فقلت ما هذا الكتاب ؟ قال: هذا الكتاب حق ، وقال شعبه أيضا: أتيت أبا هارون فقلت له اخرج الي ما سمعته من ابي سعيد ، فأخرج الي كتابا فاذا فيه : حدثنا ابو سعيد ان عثمان ادخل في حفرته وانه لكافر بالله . فدفعت الكتاب في يده

---

(١) سورة الزمر رقم ٣٩ الآية ٣ - : .

وقمت . وأقول إن طعنه في كل من الصهرين الكريمين يفسر لنا قول الدارقطني فيه «يتلوّن خارجي: وشيعي». والذي يظهر لي من كلامهم هذا انه كان منافقا . فان قيل يقوي حديثه هذا حديث ابن عباس عند احمد والترمذي وغيرهما. قلت ليس في حديث ابن عباس انه ينفع ويضر، وانما فيه انه يشهد لمن استلمه بحق، فاذا صحت هذه الشهادة مهما كانت كيفيتها في عالم الغيب فهي لا تدل على ان الحجر الاسود يملك لأحد من الناس ضرا أو نفعا هو مختار فيه ، ولا يطلب أحد من المسلمين منه الشهادة بألسنتهم فيقال ان طلبه عبادة ، وشهادة أعضاء الانسان عليه يوم القيامة اصح من شهادة الحجر وليست معبودة بهذا المعنى.

بقي ان يقال اذا كان هذا الحجر لا يضر كما قال عمر في الموسم تعليما للناس وأقره جميع الصحابة عليه ، وكان استلامه وتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله ﷺ كما يتبع في سائر العبادات ، فما هي حكمة جعل ما ذكر من العبادة ؟ وهل يصح ما قيل من ان النبي ﷺ تركه في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفا للمشركين واستمالة لهم الى التوحيد ؟ والجواب ان الحجر ليس من آثار الشرك من وضع المشركين ، وانما هو من وضع امام الموحدين ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، جعله في بيت الله ليكون مبدأ للطواف بالكعبة يعرف بمجرد النظر اليها ، فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون . وبهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك ، كما تحترم الكعبة لجعلها بيتا لله تعالى وإن كانت مبنية بالحجارة ، فالعبرة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الامتثال لأمر الشارع واتباع ما ورد بلا زيادة ولا نقصان، ولهذا لا تقبل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف ، وإن قال به وبتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس في الامور التعبدية . وتعظيم الشعائر والاثار الدينية والدنيوية بغير قصد العبادة معروف في جميع الأمم لا يستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون ، واشد الناس عناية به الافرنج فقد بنوا لآثار عظماء الملوك والفاتحين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ونصبوا لهم التماثيل

الجميلة ، وهم لا يعبدون شيئاً منها ، فلماذا تهتم بكل ما يلغط به كل قسيس او سياسي يريد تنفير المسلمين من دينهم اذا موّه علينا في شأن تعظيم الحجر الاسود فزعم أنه من آثار الوثنية ، ونحن نعلم أنه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم أمـــام موحد داعٍ الى الله من النبيين المرسلين الذي عرف شيء صحيح من تاريخهم وهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام الذي جمع على تعظيمه مـــع المسلمين اليهود والنصارى ؟

وبقي من حكمة استلام الحجر وتقبيله ما اعتمده الصوفية فيها أخذا مما ورد في بعض الأحاديث الضعيفة كحديث علي السابق ، وحديث ابن عبـــاس « الحجر الاسود يمين الله في أرضه » رواه الطبراني وهو أنه رمز لمبايعة الله تعالى ، فكأن الحجر يمين الله تعالى ، ومستلمه مبايع له على توحيده والاخلاص له واتباع دينه الحق ، والاعمال الرمزية معروفة في جميع الاديان الالهية ، وقال المهلب : حديث عمر يرد على من قال ان الحجر يمين الله في الارض يصافح بهـــا عباده . ومعاذ الله ان تكون لله جارحة ، وانما شرع تقبيله اختياراً ليعـــلم بالمشاهدة طاعـــة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة ابليس حيث أمر بالسجود لآدم . اه . وليس مراد من قال إنه يمين الله ان لله جارحة ، وانما اراد ما ذكرنا ، والعمدة في رد هذا القول عدم صحة الحديث فيه ، فان صح وجب قبوله ومعناه ظاهر . قال الخطابي : معنى كونه يمين الله في الارض ان من صافحه في الارض كان له عهد ، وجرت العادة بان العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والاختصاص به فخاطبهم بما يعهدونه . وقال المحب الطبري : ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم سن له تقبيله نزل منزلة يمين الملك ، ولله المثل الاعلى اه .

ولعمري لو ان ملوك الافرنج وعلماؤهم أمكنهم ان يشتروا هـــذا الحجر العظيم لتغالوا في ثمنه تغالياً لا يتغالون مثله في شيء آخر في الارض ، ولوضعوه في أشرف مكان من هياكل التحف والآثار القديمة ، ولحج وفودهم الى رؤيته ،

وتمنى الملايين منهم لو تيسر لهم لمسه واستلامه . وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع ابراهيم أبي الانبياء عليهم السلام، وإنهم ليتغالون فيما لا شأن له من آثار الملوك والصناع .

هذا وان من مقاصد الحج النافعة تذكر نشأة الاسلام دين التوحيد والفطرة في أقدم معابده ، وأحياء شعائر ابراهيم التي طمستها وشوهتها الجاهلية بوثنيتها فطهرها الله ببعثه ولده محمد الذي استجاب الله به دعوته « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » عليهما الصلاة والسلام . روى أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن يزيد بن شيبان قال : أتانا ابن مربع (كمنبر واسمه يزيد) الانصاري ونحن بعرفة ـ في مكان يباعده عمرو عن الامام (هذه الجملة مدرجة في الحديث ادرجها راويه عمرو بن دينار ومعناها انهم في مكان بعيد عن موقف الإمام بحيث لا يسمعون كلامه . فقوله يباعده عمرو يعني يذكر عمرو بن عبدالله بن صفوان التابعي أنه بعيد عن الإمام الأعظم ﷺ أي فلذلك أرسل إليهم رسولاً)[1] ـ فقال : اما إني رسول رسول الله ﷺ اليكم يقول لكم : « قفوا على مشاعركم فانكم على ارث من أبيكم ابراهيم » هذا سياق أبي داود وقد سكت عليه . وقال الترمذي: حديث ابن مربع الانصاري حديث حسن لا نعرفه الا من حديث ابن عيينة عن عمرو ابن دينار .

وجملة القول ان مناسك الحج من شريعة ، ابراهيم وقد أبطل الاسلام كل ما ابتدعته الجاهلية فيها من وثنيتها وقبيح عملها كطوافهم بالبيت عراة ، وإن الكعبة من بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام كما هو ثابت عند العرب بالاجماع المتواتر بينهم، وكانوا يعظمونها هم والامم المجاورة لهم بل والبعيدة عنهم كالهنود. ومن الثابت أيضاً أنهم لما جددوا بناءها أبقوا الركنين اليمانيين على قواعد

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ١٩١٣ ص ٦٨٠ . الحاشية

ابراهيم وانما اقتصروا من جهة الركنين الشاميين ، ولذلك ورد استلام الركنين اليمانيين تغليباً كما يقولون في تثنية الركن الشامي والركن العراقي الشاميين. ولما كانت الكعبة قد جدد بناؤها قبل الاسلام وبعده لم يبق فيها حجر يعلم باليقين انه من وضع ابراهيم الا الحجر الاسود لامتيازه بلونه وبكونه مبدأ المطاف ، كان هو الاثر الخاص المذكر بنشأة الاسلام الاولى في ضمن الكعبة المذكرة بذلك بوضعها وموضعها وسائر خصائصها ، زادها الله حفظاً وشرفاً . وقد علم بهذا ان الحجر له مزية تاريخية دينية ، وان كان الاصل في وضعه بلون مخالف للون البناء اهتداء الناس بسهولة الى جعله مبدأ للطواف . ولنا مع علمنا بهذا ان نقول ان الله تعالى ان يخصص ما شاء من الاجسام والامكنة والازمنة لروابط العادة والشعائر ، فلا فرق بين تخصيص الحجر الاسود بما خصصه به وبين تخصيص البيت الحرام والمشعر والحرام وشهر رمضان والاشهر الحرم ، ومبنى العبادات على الاتباع لاعلى الرأي .

٤٧٦

حكمة رمي الجمار [1]

ج ٢ – اذا وعيت ما تقدم كان نورا بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك الحج أعني أنها مما تعبدنا الله تعالى لتغذية إيماننا بالطاعة والامتثال ، سواء عرفنا سبب كل عمل منها وحكمته أم لا ، وانها احياء لدين ابراهيم أبي الانبياء أمام الموحدين المخلصين ، وتذكير بنشأة الاسلام ومعاهده الاولى ، وان لاستحضار ذلك لتأثيراً عظيماً في تغذية الايمان وتقوية الشعور به ، والثقة بانه دين الله الخالص الذي لا يقبل غيره ، فان جهلنا سبب شرع بعض تلك الاعمال أو حكمتها لا يضرنا ذلك ولا يثنينا عن اقامتها ، كما اذا ثبت لنا نفع دواء من الادوية مركب من عدة أجزاء وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض ، فان

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨١ – ٦٨٣ .

ذلك لا يثنينا عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به ، ولا يدعونا الى التوقف وترك استعماله الى ان نتعـــلم الطب ونعرف حكمة اوزان تلك الاجزاء ومقاديرها .

أبسط ما يتبادر الى الذهن من منشإ هذه العبادة ان هذه المواضع التي تسمى الجمرات كانت من معاهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، فشرع لنا ان نقف عند كل واحدة منها نكبر الله سبع تكبيرات ، نرمي عند كل تكبيرة حصاة صغيرة بين أصابعنا نعد بها التكبير ، والعدد بالحصى — ومثله النوى في مثل الحجاز — من الامور المعهودة عند الذين يعيشون عيشة السذاجة ، فنجمع بهذا الذكر بهذه الكيفية بين إحياء سنة ابراهيم الذي اقام الدين الحق في هذه المعاهد وبين التعبد لله تعالى بكيفية لا حظّ للنفس ولا محل للهوى فيها . والعبادة منها شعائر يجتمع لها الناس وتقصد الامة بعملها إظهار الدين والاجتماع والتآلف على عبادة الله تعالى ، وكل أعمال الحج من هذا القبيل ، ومنها ما يقصد به تربية كل فرد نفسه وتزكيتها فقط كالتجهد وذكر الله في الخلوة ، فلا يقال ان الذكر والتكبير لا يختص بذلك الزمان والمكان ، لان هـذا القول لا يصح الا في غير الشعائر ، اذ الشعائر لا بد فيها من التخصيص والتوقيت لأجل جمع الناس عليها بنظام كالأذان وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين .

أما كون رمي الجمار شرع لذكر الله تعالى فسيأتي حديث عائشة المصرح به جواب السؤال التالي ، وأما سبب وقوف إبراهيم في تلك المعاهـــد لذكر الله وتكبيره وعده بالحصى فلا يضرنا جهله ، ويكفينا ان نقتدي به في هـــذه الشعيرة كشعيرة الطواف وغيرها من المناسك. وورد في بعض الاحاديث الضعيفة السند ان ابليس عرض له هنالك أي يوسوس له ويشغله عن اداء المناسك فكان يرميه كل مرة فيخنس ثم يعود . روى الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس « لما أتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرمـــاه بسبع حصيات حتى ساخ في الارض » ثم ذكر الجمرة الثالثة كذلك .

وروي عن محمد بن اسحق قال: « لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاء جبريل عليه السلام فقال له: طف به سبعاً » ثم ساق الحديث، وفيه انه لما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له ابليس عند جمرة العقبة فقال له جبريل: كبّر وارمه سبع حصيات، (فرماه) فغاب عنه، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل: كبر وارمه، فرماه ابراهيم سبع حصيات، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل كبر وارمه، فرماه سبع حصيات مثل حصى الخذف، فغاب عنه ابليس، ثم مضى ابراهيم في حجه – الحديث. وليس تمثل الشيطان للانبياء ولا ظهوره لهم بغريب في قصصهم، ففي الانجيل المعتمد عند النصارى انه ظهر للمسيح عليه السلام وجربه تجارب طويلة. فاذا صح ان ابليس عرض لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في أثناء أداء مناسكه بظهور ذاته او مثاله أو بمجرد التصدي للوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى فلا غرابة في قذفه ورجمه كما يطرد الكلب، فمن المعروف في الأخلاق والطباع أن يأتي الانسان بعمل عضوي يظهر به كراهته لما يعرض له حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه وبراءته منه، فأخذ الحصيات ورميها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل، وإن حركة اليد المشيره الى البعد لتفيد في دفع الخواطر الشاغلة للقلب... والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والتبري او الاهانة معهود من الناس، وله شواهد عند الامم: كرجم بني اسرائيل مع يشوع النبي (يوشع عليه السلام) لعجان ابن زراح واهله وماله من ناطق وصامت كما في ٧ : ٢٤ و د ٢ من سفر يشوع، وكرجم النصارى لشجرة التين التي لعنها المسيح، ورجم العرب في الجاهلية لقبر ابي رغال في المغمس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش أبرهة الحبشي الى مكة لاجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى. والعمدة في رمي الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله تعالى وحده بما لاحظ للنفس فيه اتباعاً لابراهيم اقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم في الارض، ومحمد خاتم رسل الله مكمل دينه ومتممه الذي حفظ دينه كله في الأرض، صلى الله عليهم أجمعين.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في بيان أسرار الحج من الاحياء[1] : وأما رمي الجمار فليقصد[2] به الانقياد للامر اظهاراً للرق والعبودية . وانتهاضاً لمجرد الامتثال ، من غير حظ للعقل والنفس في ذلك . ثم ليقصد[3] به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية ، فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله . فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه ، وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان ، فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان ، وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ، ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه ، وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به ؟ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فبذلك ترغم أنف الشيطان[3] . وأعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره ، اذ لا يحصل ارغام أنفه الا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيماً له بمجرد الامر ، من غير حظ للنفس والعقل فيه » ، اهـ .

٤٧٧

حكمة الرمل في الطواف والسعي بين الصفا والمروة[4]

ج ٣ - الطواف بالكعبة المعظمة والسعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج وشعائر الاسلام ، من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وروى أن هاجر رضي الله تعالى عنها كانت تسعى بينهما والهة حيرى عند حاجتها الى الماء زمن ولادتها اسماعيل ، حتى هداها الله تعالى الى بئر زمزم . والعمدة في هذه

---

(١) ابو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، القاهرة ، المكتبة التجارية ج ١ ص ٢٧١

(٢) وردت في الاحياء « فاقصد » ، و « اقصد » .

(٣) وردت في الاحياء « في الرمي فيه برغم انف الشيطان ».

(٤) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨٣ - ٦٨٥ .

العبادة ما ذكرناه في الكلام على رمي الجمار من اقامة ذكر الله تعالى في هذه المعاهد التي هي أقدم معاهد التوحيد المعروفة في الأرض ، وإحياء سنن المرسلين فيها، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «انما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله » رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح من حديث عائشة . واذكاره معروفة في المناسك . وأما الرمل فيه فهو سنة نبينا ﷺ خاصة، ومعناه سرعة في المشي مع تقارب الخطوات من غير عدو ولا وثب ، ويسمى الخبب أيضاً ، فهو دون العدو، وفوق المشي المعتاد، فان زادت السرعة كان عدواً .

أما سبب الرمل في الطواف والسعي بهمة ونشاط بين الصفا والمروة فهو كما يؤخذ من عدة أحاديث إظهار قوة المسلمين للمشركين ، وكان قد علم النبي ﷺ ان المشركين قالوا عام الحديبية في المؤمنين: قد أوهنتهم حمى يثرب ، وروي في الصحيح أيضاً أن النبي ﷺ لما قدم مكة لعمرة القضاء قال المشركون إن محمداً وأصحابه لا يستطيعون ان يطوفوا بالبيت من الهزال . لذلك أمر ﷺ أصحابه أن يرملوا في ثلاث طوفات ، ويمشوا في أربع من الأشواط السبعة من طواف القدوم فقط . وكان خطر لعمر بن الخطاب أن يتركه لأن النبي ﷺ فعله لسبب عارض، ثم بدا له فمضى عليه، لأنه علم أن المحافظة على ما فعله النبي ﷺ ولم ينه عنه كالمحافظة على ما كان فعله جدّه ابراهيم ﷺ ان لم تكن أولى ، روى أبو داود وابن ماجه عنه انه قال : « فيم الرملان اليوم والكشف عن المناكب، وقد أطأ الله الاسلام (أي وطأه وأحكمه) ونفى الكفر وأهله ؟ مع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ». وأصله في البخاري بلفظ « فمالنا والرمل انما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله . ثم قال : هو شيء صنعه رسول الله ﷺ فلا نحب ان نتركه » وقوله « راءينا » مشاركة من الرؤية أي أريناهم قوتنا وأننا لا نعجز عن مقاومتهم . وقيل هو من الرياء بمعنى اراءة ما هو غير الواقع أي أريناهم من الضعف قوه . والرياء مذموم لانه

خداع والخداع جائز في الحرب وهذا من قبيل الحرب . وقوله في الرواية الاولى « والكشف عن المناكب » معناه الاضطباع : وهو أن يؤخذ الرداء من تحت إبط اليد اليمنى فيلقى على كتف اليسرى فتظهر المناكب ، وحكمته عين حكمة الرمل ، وقيل انما هو لاجل التمكن منه . وقد ورد في الصحيح أن المشركين قالوا عند ما رأوا النبي ﷺ وأصحابه يرملون مضطبعين : هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم أجلد من كذا وكذا . وفي رواية أجلد منا .

فعلم من هذا ان الرمل أو الهرولة كما قال السائل انما شرعت في الطواف لسبب ، واننا نحافظ عليه لتمثيل حال سلفنا الصالحين رسول الله ﷺ وأصحابه (رض) اتباعاً وتذكراً لنشأة الاسلام الاولى في عهدهم ، وهل توجد أمة من الأمم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق بيقين ؟ لا لا ، فالحمد لله رب العالمين .

٤٧٨

حكمة ذبائح النسك . ودفن لحومها في منى [1]

ج ٤ — حكمة ذبائح الهدي والاضاحي معروفة لا يجهلها عامة المسلمين ، وهي طاعة الله تعالى وتقواه واظهار نعمته بتوسعة المسلمين على أنفسهم الفقراء والمساكين في أيام العيد التي هي ايام ضيافة الله للمؤمنين ، وهي من مناسك الحج ، لانها إحياء لسنة ابراهيم وتذكر لنعمة الله عليه وعلى الناس بفداء ولده اسماعيل من الذبح الذي ابتلاه الله واختبره به ، لتظهر قوة ايمانه بالله تعالى وايثاره لرضاه . ونعمة الله بذلك على الناس كافة انما هي من حيث ان اسماعيل هو جد محمد ﷺ الذي ارسله الله تعالى خاتماً لرسله وهادياً للناس كافة .

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨٥ - ٦٨٦ .

قال تعالى في البدن التي تنحر للنسك في الحج : « فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا البائس الفقير [1] » وقال في ذبائح النسك عامة « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم،[2] الآية. وأما دفن لحومها في هذه الأزمنة – التي كثرت فيها الحجاج وقلت معرفتهم ومعرفة حكامهم باحكام الدين وحكمه – فليس من الدين في شيء، وانما هو من الجهل بأمر الدين والدنيا. ولو كان للحجاز حكومة عاقلة رشيدة لعرفت كيف تحفظ ما زاد عن حاجة الناس من تلك اللحوم بجعل بعضها قديداً ، وبعضها مقلياً من النوع الذي يقال له (قاورمه) ولأفاضت منها على فقراء الحرم طول سنتهم . وها نحن أولاء نرى الامم العالمة التي تعرف كيف تستفيد من جميع نعم الله تعالى تنقل اللحم الغريض والسمك الطري من قطر الى قطر ، حتى ان الغنم تذبح في استرالية ويباع لحمها في مصر من شمالي أفريقية وفي شمال أوروبة أيضاً ، ونحن قد جعلنا حسنات ديننا سيئات بسوء تصرفنا ، فصرنا حجة عليه في نظر الأمم كلها وهو حجة علينا عند الله تعالى . واذا جاز ان تترك هذه الذبائح وينفق ثمنها فيما ذكر السائل فمن يضمن ان يقوم الناس بذلك ؟ كلا إن هذا شعار لا يقوم غيره مقامه ، ولو كان للمسلمين من الاهتمام بعمران الحرمين وخدمة الحجاج ما أشار السائل اليه لما توقف قيامهم به على تركهم لهذا النوع من النسك .

فان كان في الأنعام التي تذبح هنالك ما يضر لحمه الآكلين ، وعرف ذلك بشهادة الاطباء والعارفين ، فالواجب على الحكومة ان تمنع دخول هذا النوع الضار حتى لا يسوق الناس الى الحرم من الغنم إلّا كلّ صحيح لا يخشى منه ضرر .

---

(١) سورة الحج رقم ٢٢ الآية ٣٦ .

(٢) سورة الحج رقم ٢٢ الآية ٣٧ .

العلمان وحكمة حدود عرفة [١]

ج ٥ – اذا كان من أركان الحج الوقوف بعرفة وجب ان يكون لعرفة حدود معينة ، وإلا بطل معنى فرضية الوقوف فيها ، وهكذا كل عبادة اعتبر في فرضيتها مكان أو زمان كالطواف والسعي بين الصفا والمروة وصيام رمضان وكون الصيام من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، لا تحصل العبادة لمن خرج عن الحد المكاني أو الزماني . وأما مسألة القبول فهي شيء آخر : ما كل من أتى بأعمال العبادة الظاهرة نجزم بأن عمله مقبول عند الله تعالى ، إذ يجوز أن يكون مرائياً بعمله غير مخلص فيه ، وإنما يتقبل الله من المتقين المخلصين ، ولكن المخلص إذا لم يأت بالعمل الذي فرضه الله تعالى كما فرضه تعالى بحدوده من زمان ومكان ، فلا مجال للقول بأن عمله مقبول لأن العمل لم يوجد ، فمن سعى إلى الحج ولم يدرك الوقوف بعرفة وراء العلمين الذين هما أول حد عرفة لم يدرك الحج حتى يبحث في قبول حجه وعدم قبوله ، ومثله مثل من سعى الى صلاة الجمعة ولم يدرك ركعة منها مع الإمام لا يقال إن جمعته مقبولة أو غير مقبولة لأنه لا جمعة له ، وإن سعى إليها من أول النهار مخلصاً لله في ذلك ، ولكن الله لا يضيع أجر من سعى الى الحج أو الجمعة أو غيرهما من العبادات مع الإخلاص فيثيبه على ذلك وإن لم يسقط عنه الفرض ، وكان لا بد في الجمعة من صلاة الظهر وفي الحج من أدائه تاماً في ميقاته . وقد علم مما ذكرنا ان العلمين حد لعرفة لا حد بين الله والناس ، ولا بين الجنة والنار .

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨٦ .

ترك بعض العلماء لفريضة الحج[١]

ج ٦ – الحج فرض على من استطاع إليه سبيلاً وهو على التراخي لا الفور إذا وجد العذر ، والخلاف في المسألة مشهور . ولم يحج رسول الله ﷺ إلا في آخر سنة من عمره ولكنه اعتمر قبل ذلك . ومن ترك الحج وهو يستطيع السبيل إليه حتى مات ، مات عاصياً لله تعالى. ولا يقتدى به ولا يعد تركه اياه عذراً لغيره . والسائل يقول : إنه يرى كثيراً من علماء الأمة ومرشديها المصلحين لم يحجّوا ، وأن لا أعرف أحداً من العلماء المصلحين ولا غيرهم من الجامدين الراضين بحال المسلمين السيئة ترك الحج بغير عذر حتى مات . وقد ذكر السائل منهم الأستاذ الإمام والسيد الكواكبي رحمهما الله تعالى وذكرني معهما . فأما الكواكبي فهو من علماء الاجتماع والسياسة لا من علماء الدين، وإن كان له مشاركة ما في الفقه ونحوه لا تنكر. ولا أدري أحج أم لا ، وأنا ما عرفته إلا في مصر ولم يكن ذا سعة فيها ، نعم انه ساح بعد هجرته الى مصر في جزيرة العرب ثم عاد إليها ، ولكن بمساعدة من بعض الناس، ومن لا يستطيع الحج إلا بمال غيره لا يجب عليه الحج ، ولا أن يقبل تبرع غيره له بنفقته إن هو تبرع .

وأما الأستاذ الإمام فأنا أعلم انه كان عازماً على الحج، وقد سمعت ذلك من لسانه وانه يريد أن يقيم في المدينة المنورة وما جاورها طائفة من الزمن ويبحث عن مواضع غزوات النبي ﷺ بحثاً يستعين به على ما كان ينويه من الكتابة في تاريخ الإسلام ، وتحرير سيرته عليه الصلاة والسلام ، وقد بينت عذره وعذري وسبب تأخيرنا للحج من قبل، فمن ذلك قولي في تفسير قوله تعالى : « ومن دخله كان آمنا »[٢] من جزء التفسير الرابع ما نصه : إن كثيراً من أمراء المسلمين

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨٦ - ٦٨٨ .

(٢) سورة آل عمران رقم ٣ الآية ٩٧ .

ونابغيهم يعلمون ان دون أدائهم لفريضة الحج عقبات سياسية لا يسهل اقتحامها، وقد جاء في صحف الأخبـــار أن أمير مصر استأذن السلطان في حج والدته وبعض أمراء أسرته فلم يأذن . وقد كان الأستاذ الإمام يعتقد اعتقاداً جازمـاً فيه أنه إذا حج يلقي بيديه الى التهلكة ، وانه لا أمـان له في الحرم الذي كان يرى الجاهلي فيه قاتل أبيه فلا يعرض له بسوء . وإن كاتب هذه السطور يعتقد مثل هذا الاعتقاد. فنسأل الله تعالى أن يحقق لنا ثانية مضمون قوله تعالى: « ومن دخله كان آمناً »(١) لنمتثل ما فرضه علينا من حج هذا البيت » الخ.

وأقول الآن قد ظهرت صحة اعتقاد الاستاذ واعتقادنا هذا في مرض موته حين قبضت الحكومة الحميدية العثمانية في بيروت على الحاج محيي الدين حمـاده عند عودته من مصر لأنه كان ضيفاً له، وكانت بنت أخيه زوجـــاً له، وأخذت أوراقه وحبسته على وجاهته وحسن سيرته وبعده عن السياسة ومذاهبها ، ثم علمنا ان الحكومة كانت ترسل العسكر بعد ذلك ليلاً لمراقبة سواحل بيروت وما يجاورها ، لأنه بلغها ان الأستاذ يريد النزول فيها ! وكانت هذه الحكومة قبل ذلك وبعده تصادر كل كتاب يدخل المملكة العثمانية إذا وجد عليه أو فيه اسم محمد عبده أو اسم المنار ، أو مطبعة المنار ، دع اسم صاحب المنار . وتمنع أيضاً ذكر هذه الأسماء في الجرائد ، ويعلم قراء المنـــار في زمن عبد الحميد انه كان ممنوعاً من ممالكه ، وان والدي مات والعسكر يحيط بداره، وكان أخي في السجن لأن المنار وجد عنده ، وكانت الحكومة تعاقب كل من تعلم انـه يقرأ المنار أو يكاتب صاحبه . والسبب في ذلك كله وسوسة جواسيس السوء للسلطان عبد الحميد بأننا نريد اقامة خلافة قرشية عربية في الحجاز ، وكان من هؤلاء الجواسيس مصطفى باشا كامل .

خلع السلطان عبد الحميد بعد وفاة الأستاذ الإمام،فظهر ورثته من الاتحاديين بعداء للعرب أشد خطراً علينا مما كان من عداء عبد الحميد لنا ، جئنـــا

(١) سورة آل عمران رقم ٣ الآية ٩٧ .

الآستانة وحاولنا أن نقنعهم بحسن نية العرب ووجوب إنصافهم فلم نستطع . ثم جعلوا صاحب هذه المجلة من أعدى أعدائهم وذنبه عندهم انه يدعو الى النهضة العربية ، فكان قصد الحج في هذه المدة مما يقوي سوء ظنهم ، ولا يؤمن معه غدرهم ، وقد صادروا المنار في بريدهم ، ومنعوا دخوله لبلادهم ، كما فعل عبد الحميد لمثل السبب . وقد صار خلفاء مصطفى كامل من زعماء الحزب الوطني وكتاب جرائده جواسيس لهم كما كان زعيمهم جاسوساً لعبد الحميد ، ويتهموننا بما كان يتهمنا به وفي مقدمتهم محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز شاويش . ولكننا دخلنا مع الاتحاديين الآن في طور جديد يرجى أن تمحى فيه سعاية الجواسيس ، فقد اعترفوا بأننا نطلب حقاً وأجابونا إلى بعضه رسمياً ووعدوا بالباقي وعداً مؤكداً . فعسى أن يتم الاتفاق ، ويمحو آية الشقاق ، ويكون قد ظهر لهم حسن نيتنا وإخلاصنا نحن وسائر طلاب الإصلاح من قومنا لهذه الدولة ، وحرصنا على تعزيزها وإصلاح شأنها ، وهذا ما يظهرونه لنا الآن ، وقد بلّغونا ان منع المنار قد ارتفع . ويترتب على حسن نيتهم في العرب رضاهم بعمران الحجاز ، وعدم خوفهم من زيارة طلاب الإصلاح له في النسك وغير النسك ، وحينئذ نرجو أن يوفقنا الله في العام القابل لأداء الفريضة بفضله وكرمه .

٤٨١

ترك ملوك المسلمين وأمرائهم وأغنيائهم للحج[1]

ج — سبق لنا في مجلدات المنار السابقة الانتقاد على سلاطين آل عثمان وملوك إيران وغيرهم من أمراء المسلمين ترك فريضة الحج ، ولكن لم يخطر في بالنا أن أحداً من المسلمين يقتدي بهؤلاء الملوك والسلاطين في ترك هذه الفريضة ، وكذلك الأغنياء المترفون لا يصح أن يكونوا قدوة في ذلك ، ولا أن يكونوا شبهة من

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٦٨٨ .

الشبهات على الحج . ومن سوء الظن القبيح أن يقول مسلم ان حج عزيز مصر الأمير عباس الثاني كان لغرض سياسي ، وأي غرض سياسي يتوقف على أدائه لمناسك الحج ؟ على ان كثيراً من الأغنيـــاء يحجون فان كان غير الأغنياء أكثر حجاً فذلك لأنهم في أنفسهم أكثر عدداً ، وأقل فسقاً وترفاً . هذا ما نراه كافياً في جواب هذه الأسئلة فعسى أن يراه السائل كذلك ، والله الموفق .

وجود الله ووحدانيته والقضاء والقدر[1]

من صاحب الإمضاء الشهير بفاقوس أحمد محمد الألفي خادم العلم الشريف .

حضرة الأستاذ الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأفخم .

تحية وسلاماً وأشواقاً ، (وبعد) فأرجو أن تجيبوا بالبرهان الكافي والبيان الشافي في المنار الآن على هذه الأسئلة :

١ — شاع وذاع وملأ الأسماع ان استـــاذاً ملحداً تلقى العلوم في مدرسة المعلمين وكمل بمدارس أوروبة وعين مدرساً بمدرسة التجارة بمصر ، أنكر وجود الخالق تعالى مستنداً على علم الطبيعة الذي يبحث فيه عن أشياء الكون وظواهر الموجودات قائلاً أمام الطلبة : الاعتقاد بوجود الإله من الأوهام التي لم يقم عليها دليل علمي ولا برهان حسي .

٢ — مما ألقـاه هذا الأستاذ الملحد من الشبه على عقيدة القضاء والقدر أمام الطلبة ان الإنسان أثناء ملابسة الشرور ، اما أن يكون في سلطة القضاء والقدر أو لا ، فإن قيل بالإيجاب امتنعت عنه المسؤولية وصار غـير مستحق للجزاء لا شرعاً ولا قانوناً ، وان قيل بالسلب بطل القضاء والقدر . أمـا القول بأنه مجبور باطناً مختار ظاهراً فهو من السفسطائيات التي لا يرضاها العلم والفلسفة .

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٧٤١ - ٧٤٢ .

٣ – سأل سائل المقتطف[١] كيف اعتقد بعض فلاسفة اليونان تعدد الآلهة مع قيام البرهان العقلي على التوحيد الخالص ؟ فأجاب المقتطف ان البرهان العقلي لا ينفي التوحيد ولا يثبته ، وإنما ثبت التوحيد بالإلهام . فأعاد السائل السؤال فأعاد المقتطف الجواب بما لا يخرج عن معنى ما تقدم . هذا وأرجو أن يكون الجواب بالأدلة العقلية والعلمية والفلسفية والتاريخية على الطريقة العصرية ولكم من الله الأجر ومن الأمة الشكر ودمتم لصديقكم المخلص .

٤٨٣

الأدلة العلمية على وجود الله تعالى[٢]

ج ١ – إذا صح مـــا نقل عن ذلك المدرس بمدرسة التجارة ، فهو جاهل مغرور لا يعرف العلم الالهي ولا العلم الطبيعي ، فلم يقل عالم ولا عاقل مؤمن ولا ملحد ان العلم الطبيعي ينفي وجود الخالق ، وكل ما زعمه بعض من طمست بصيرتهم في ذلك ان العلم الطبيعي لا يثبت وجود الخالق ولا ينفيه ، ولكن السواد الأعظم من عقـلاء البشر وعلمائهم أثبتوا وجود الخالق بالبراهين العقلية والحجج العلمية ، والمثبت مقدم على النافي لأن نفي ما عدا المحال جهل ، لأنه عبارة عن عدم العلم بالمنفي . وقـــد صرحتم فيما نقلتموه عن ذلك الملحد الجديد بأنه استدل على عدم وجود الخالق بعدم الدليل العلمي والبرهان الحسي على وجوده ، وعدم الدليل لا يقتضي عدم المدلول ، على أن دعوى عدم الدليـــل باطلة ، والصواب عدم علمه هو بالدليل ، وعدم العلم بالشيء لا يقتضي عدم ذلك الشيء باتفاق العقلاء ، بل هو من البديهيات . وفي كتب الكلام كثير من الأدلة العقلية على وجود الخالق ، وفي القرآن كثير من الأدلة العقلية والأدلة العلمية الكونية على ذلك. وقد كتب محرر المقتطف[٣] مقالة عنوانها « آياته في خلقه » شرح فيها

---

(١) المقتطف ج ٤٢ (١٩١٣) ص ٩٣ - ٩٤ .
(٢) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٧٤٢ - ٧٤٣ .
(٣) المقتطف ج ٣٧ (١٩١٠) ص ١١٣٥ .

الدلائل العقلية والطبيعية على وجود الخالق تعالى نشرناها في جزء ذي الحجة سنة ١٣٢٨ بعد مقدمة وتمهيد في الدين والالحاد والاشتراكية [١] .

٤٨٣

القضاء والقدر [٢]

ج ٢ — ما قاله ذلك الاستاذ الملحد في القضاء والقدر مبني على جهله بمعنى القضاء والقدر وظنه انه عبارة عن الجبر وسلب الاختبار ، وهو ظن باطل آثم ، وقد بينا حقيقة المسألة في المنار مراراً فلا نعيدها عند هذيان كل هاذ ، والسائل الفاضل يعرف مواضع تحرير هذه المسألة من المنار .

٤٨٤

وحدانية الخالق [٣]

ج ٣ — واما مسألة وحدانية الخالق عز وجل فهي تعلم من الدلائل على وجود الخالق لان تلك الدلائل تثبت وجود خالق واحد ، والتعدد مسألة ثانية تحتاج الى دليل آخر ، والعدد لا نهاية له فلا بد لمثبت التعدد من دليل يرجح به العدد الذي يدعيه على غيره . وتعلم من دلائل أخرى مبنية على تلك الدلائل ، فمقالة المقتطف التي أشرنا اليها آنفاً تثبت وجود الله تعالى ووحدانيته معاً ، وما قال المقتطف ان التوحيد انما عرف بالالهام الا ذهولا عن هذا المعنى ، وعن دلائل التوحيد الاخرى ، وسبحان المنزه عن الغفلة والذهول . وجمهور فلاسفة اليونان كانوا إلهيين موحدين واثبتوا وجود الواجب بالادلة النظرية . وهؤلاء هم الفلاسفة الالهيون ، واما الماديون فلا يثبتون إلها ليثبتوا توحيده ، وما ذكر في خرافات

---

(١) المنار ج ١٣ (١٩١٠) ص ٩١٣ - ٩٢١ .
(٢) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٧٤٣ .
(٣) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٧٤٣ - ٧٤٤ .

اليونان من تعداد الآلهة لايعنى به ان واجب الوجود الذي يطلقون عليه اسم «علة العلل» — أي لكل موجود — حقيقة لها عدة أفراد ، وإنما ذلك مبني على نظريات أخرى في نظام كل أمر كلي عام ، لا محل هنا لشرحها .

لا يتسع وقتنا الآن ولا هذا الجزء من المنار لاطالة الكلام في هذه المسألة فنكتفي بأن نذكر السائل — وهو من أهل العلم الذين تكفيهم الإشارة — ببعض البراهين العقلية والطبيعية . فمنها الاستدلال بوجود الممكنات في جملتها على وجود الواجب إذ يستحيل ان تكون قد أوجدت نفسها ، وان تكون وجدت من العدم المحض بدون موجد ، فلم يبق إلا ان لها منشأ وجودياً آخر ليس من جنسها ، أي ليس من الممكنات ، وهو الواجب الأزلي الذي وجوده ذاتي له . وهو حقيقة واحدة اضطر العقل الى اثباتها مع عدم معرفة كنهها ، فلا مجال لدعوى التعدد فيها إلا التحكم والغرض رجماً بالغيب من مكان بعيد . ومنها ان فرض تعدد الوجود الواجب يوقع العقل في مشكلات لا يمكنه التفصي منها إلا بإبطال الفرض وإثبات الوحدة . فإن الواجب الذي أثبت العقل وجوده هو مصدر وجود الممكنات في جملتها ، لأن كل ممكن منها يجوز ان يكون مصدره ممكن آخر ، وأما جملة الممكنات في أسبابها ومسبباتها ، وعللها ومعلولاتها ، فلا يمكن ان تكون هي مصدر نفسها ولا ان يكون جزء منها مصدر الكل ، ولا ان تكون من العدم المحض بغير موجد كما تقدم آنفاً ، فالوجود الواجب الذي أثبتناه هو مصدر مجموع الممكنات ، ولا معنى لذلك إلا انها صادرة بإرادته حسب علمه وهما صفتان ذاتيتان واجبتان له. فإذا فرضنا وجود واجب آخر يكون ذلك تناقضاً معناه ان جملة الممكنات صادرة عن كل منهما غير صادرة عنه ، لأن القول بصدورها عن كل واحد يقتضي عدم صدورها عن الآخر الذي هو غيره ذاتاً وعلماً وإرادة ، فإذا استطعت ان تفرض وجود واجبين او أكثر لأن الفرض لا حجر فيه فيتناول المحال ، فانك لا تستطيع ان تثبت ذلك ولا ان تتفصى من مشاكله .

ولك ان تقول من وجه آخر ان الخالق هو مصدر هذه الموجودات ومصدر التدبير والنظام فيها ، فإذا فرضنا تعدده المستلزم لاختلاف صفاته من العلم والحكمة والإرادة والقدرة – إذ لا معنى للتعدد إلا هذا – لزم من هذا الفرض ان يكون التدبير والنظام صادرين عن علمين او علوم مختلفة وإرادات متباينة وذلك يستلزم اختلاف المرادات لاختلاف المعلومات ، التابعين لاختلاف كنه الذات ، وبذلك يختل النظام وتفسد الكائنات . وهو هذا برهان التمانع في قوله قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا »[1] أي في السموات والأرض .

ومن الأدلة الكونية الطبيعية على الوحدانية ما يؤخذ من قول جماهير علماء الكون ان لمجموع الكائنات مصدر وحدة من حيث المادة والقوة، مجهول الكنه والحقيقة .

دع ما يدل عليه النظام العام في الخلق من وحدة مصدره ، ودع ما يدل عليه العلم الطبيعي من كون العناصر البسيطة التي يتركب منها عالم المادة لا بد لها من مبدإ وحدة ، ونذكر قولهم ان الفاعل في مادة الكون الأولى الذي جعلها أطواراً انتقلت من طور منها الى طور بسنن طبيعية مطردة في منتهى الإبداع والنظام ، إنما هو شيء وجودي سموه القوة . وتذكر اعترافهم بالعجز عن معرفة كنه تلك القوة التي هي حقيقة واحدة، وان عمل القوة بالنظام الدقيق لا يعقل إلا انه عمل عن علم وحكمة ، يفتح لك باب آخر من دلائل التوحيد والوحدة ، فإن ادعاء ان هذه القوة عرض ذاتي للمادة لا يقوم البرهان إلا على ضده لأنه يقتضي ان تكون هذه التطورات التركيبية أزلية وهي حادثة قطعاً. ثم تذكر بعد ذلك كله ما انفتح من أبواب العلم لإثبات ما وراء المادة ، فإن لم تعد منها مسألة إدراك الأرواح وظهور آثارها فلا يفتك ان منها ما يسمونه اليوم بالعقل الباطن ، وللمقتطف فيه مقالة نشرت في جزء أغسطس من هذا العام ، وهذا يحتاج كغيره الى شرح في جزء خاص .

---

(١) سورة الأنبياء رقم ٢١ الآية ٢٢ .

صرف الزكاة للاعانة على تعليم القرآن والكتابة وغيرهما من العلم النافع [١]

من الشيخ عبد الله بن عمر مدحج ، ناظر المدرسة الابتدائية الاسلامية ببلد الشيخ عثمان من ملحقات (عدن) ، نذكره بالمعنى مختصراً .

سبب السؤال أن السائل أسس مدرسة في بلدة الشيخ عثمان لأجل تعليم أولاد الفقراء العاجزين عن أجرة التعليم ، ولا بد لهذا من نفقة . وملخص السؤال : هل يجوز أن يدفع أغنياء البلد شيئاً من زكاة أموالهم للاعانة على هذا التعليم ، ويدخل ذلك في بعض الأصناف الثمانية التي تصرف لها الزكاة أم لا ؟

ج — إذا كان المدير والمعلمون في هذه المدرسة من الفقراء والمساكين فلا خلاف في جواز دفع الزكاة لهم ، ولا يكلفون ان يتركوا التعليم لأجل كسب آخر ، وإن قدروا عليه ، لأنهم قائمون بفرض من فرائض الدين وهو تعليم ما يجب علمه على المسلمين أو يسن لهم ، فان كانوا لا يحسنون كسباً آخر فالأمر أظهر . ويجوز ان يوكل مؤتي الزكاة ناظر المدرسة في صرف ما يعطيه إياه من زكاته على مستحقيه من المعلمين أو التلاميذ الفقراء أو المساكين. ولكن المعلمين ونظار المدارس لا يعدون من الاصناف التي تجب لها الزكاة لذاتهم وبوصف المعلمين إلا على التوسع في تفسير « وفي سبيل الله » ، والمشهور عند جمهور الفقهاء ان المراد بهذا الصنف الغزاة في سبيل الله . وزاد بعض الأئمة فيه الحج،واختار الاستاذ الامام ان المراد بسبيل الله كل عمل صالح من المصالح العامة يتقرب به الى الله تعالى . وبهذا التوسع تدخل النفقة على تعليم العلوم المطلوبة شرعاً .

وجملة القول أن القائمين بأمر التعليم يعطون من مال الزكاة إذا كانوا فقراء أو مساكين أو غارمين بغير خلاف . ومثل ذلك إعطاؤها لأولياء التلاميذ

---

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٨٣٢ .

الفقراء لينفقوا منها على تعليم أولادهم ، ويجوز التوكيل في الدفع للمستحق أيضاً ، وأظن أن هذا كاف في المقصود والله أعلم .

٤٨٦

أنا عربي وليس العرب مني[1]

من صاحب الامضاء بمصر «سائل» .

مولاي السيد الإمام منشىء المنار نفع الله به المسلمين. أما بعد، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، فإننا نلتمس كتابة جواب على سؤالنا هذا في المنار الاغر لكشف الغمة عن صحة الحديث المسؤول عنه ومعناه .

السؤال : قرأنا في جريدة المفيد البيروتية كتاب تهديد جاءها من بعض الترك يذم فيه العرب جاء فيه حديث « أنا عربي وليس العرب مني » فهل من سند صحيح لهذا الحديث بهذه الرواية أم برواية أخرى ؟ وإذا صح أفلا يكون النبي ﷺ قد تبرأ من عموم العرب وهم قومه وهو منهم ؟ وما سبب ذلك إذا صح ؟

ثم إننا نسمع بشيوع هذا الحديث في أمة الترك حتى إن كل من خدم في العسكرية « الجهادية » سمعه منهم بروايات منها « أنا عربي وليس الأعراب مني » ومنها « أنا عربي وليس أعرب مني » فأية الروايات أصح ؟ أفيدونا لا زلتم ملجأ لحل الغوامض .

ج — لا يصح شيء من ألفاظ هذا الحديث بل هو موضوع مختلق على النبي ﷺ . وأنا لم أسمعه من أحد إلا من بعض أفراد عسكر بلدنا الذين حضروا حرب البلقان الاولى وحرب الروسية للدولة وغيرهم ممن أدوا الخدمة العسكرية مع أمثالهم من الترك . نقل إلينا هؤلآء ان بعض افراد الترك كانوا يحتقرونهم

(١) المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٨٩٩ – ٩٠٢ .

ويقولون لهم : ان الله قد ذم العرب في القرآن العظيم الشأن بقوله «الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله»[1] وان النبي ﷺ قال فيهم : « أنا عربي وليس العرب مني». فمن هؤلاء من كان يتعجب من هذه الأقوال، ولا يدري مايقول كالأميين. ومنهم بعض الأذكياء الذين يقرأون القرآن كانوا يجيبون عن الآية بما يقابلها قوله تعالى في سورتها ـ التوبة «ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول»[2]. فيفهم من مجموع الآيتين ان تلك في كافري الأعراب ومنافقيهم، وهذه في مؤمنيهم الصادقين الصالحين، وان المدح والذم فيها ليس للجنس . ولكن لم أسمع من أحد ولا عن أحد منهم أنه أجاب بأن الأعراب هم سكان البادية خاصة والواحد أعرابي ، وان علة كون كفارهم ومنافقيهم أشد كفراً ونفاقاً من أمثالهم في الحضر هي جفوة البداوة وقسوتها وخشونتها كما هو معروف عند جميع الأمم، وان التعرب ، أي سكنى البادية، كان محرماً على المؤمنين بعد الهجرة لوجوب ملازمة النبي ﷺ ونصرته.

وأما الحديث فلم يكن أحد من أولئك العوامّ يعلم ان بعض الناس قد كذب على الرسول ﷺ ونسب اليه أحاديث لم يروها عنه أحد من نقلة حديثه منها ما له معنى صحيح ومنها ما معناه باطل كلفظه . وهذا القسم منه ما لا يعرف بطلان معناه إلا العلماء ، ومنه ما هو بديهي يعرف بطلانه كل من شم رائحة الإسلام، كقول أولئك السفهاء من الترك انه ﷺ قال : « أنا عربي وليس العرب مني » إذ لا معنى لهذا النفي إلا التبرؤ من قومه العرب . وليس الغريب أن يحفظ هذا بعض المتعلمين المتفرنجين الذين أفسدت السياسة عليهم دينهم ، فكان من عصبيتهم الجنسية التركية بغض العرب ، ولكن العجيب الغريب وصول هذه المفسدة الى عوامهم الذين نسمع ان أكثرهم باق على فطرته الإسلامية يحب العرب تديناً لأنهم قوم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) سورة التوبة رقم ٩ الآية ٩٧ .

(٢) سورة التوبة رقم ٩ الآية ٩٩ .

وقد سمعت من بعض من شهد هذه المحاورات أنهم كانوا يجيبون عن الحديث بأن أصله « أنا عربي وليس أعرب مني » وأنهم رووه محرفاً. ولا أدري أهذا شيء كان سمعه ممن أجاب بمثل هذا الجواب ؟ أم ظن أن أصله ما ذكر فصححه بظنه ؟

وانني أورد هنا بعض الأحاديث الواردة في مناقب العرب إتماماً للحجة على أولئك المنافقين من الترك وتثبيتاً لاخواننا المؤمنين الصادقين منهم ومن غيرهم، فمنها قوله ﷺ « أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وكذا العقيلي ، ووضع السيوطي بجانبه في الجامع الصغير علامة الصحة . ومنها « إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » رواه مسلم في صحيحه والترمذي عن واثلة . ولفظ الترمذي « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً » الخ. فهذا الحديث الصحيح يدل مع قوله تعالى « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين »[1] ان العرب بني اسماعيل هم صفوة أصفياء الله من البشر كلهم وصفوتهم قريش وصفوة قريش بنو هاشم ، فهم لب اللباب، وخاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والتسليم صفوتهم، فهو سيد ولد آدم على الاطلاق، فكيف يتبرأ من قومه الذين اصطفاهم الله تعالى واصطفاه منهم ؟ ومن عساه يستبدل بهم في عرف أولئك المنافقين ؟ وقد روى الحاكم هذا المعنى من حديث ابن عمر بلفظ آخر وهو: « ان الله اختار من آدم العرب واختار من العرب مضر ومن مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » . وروى أيضاً من حديث أنس مرفوعاً « حب العرب إيمان وبغضهم نفاق » وسند هذا ضعيف يؤيده ويقويه سائر الأحاديث في الباب مما تقدم وما هو في معناه، كحديث « لا

(١) سورة آل عمران رقم ٣ الآية ٣٣ .

يبغض العرب الا منافق » رواه عبد الله بن الإمام احمد في زوائده عن علي كرم الله وجهه ، وحديث « لا يبغض العرب مؤمن » رواه الطبراني عن ابن عمر ، وحديث « من أحب العرب فهو حبي حقاً » رواه ابو الشيخ عن ابن عباس .

فهذه الأحاديث تدل على ان هؤلاء الذين عرفوا ببغض العرب كلهم من المنافقين المبغضين لله تعالى ولرسوله ﷺ ، وقد اشتهر عن بعض أهل الجراءة منهم التصريح ببغض الاسلام ، والنيل من مقام خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ، والطعن في الخلفاء وسائر الصحابة الكرام ، وهم يتعمدون إذلال العرب وإهانتهم انتقاماً من الاسلام ، ولا غرو ففي حديث جابر عند ابي يعلى بسند صحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » اللهم أعز الإسلام وأعز العرب ، اللهم وأعز من أعز العرب وأذل من أذلهم الى يوم القيامة .

٤٨٧

الموالد بدعة أم سنة[1]

من صاحب الإمضاء في فليمبغ (سومطرة) طالب الدعا منكم السيد عقيل ابن عبدالله بن عقيل الحبشي .

من فليمبغ الى القاهرة في ٢٥ المحرم عام ١٣٣٢ .

جناب الاستاذ مرشد الأمة ورشيدها سيدي محمد رشيد رضا أدام المولى وجوده . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد أرجو من فضلكم إجابة السؤال الآتي على صفحات المنار. ما قول سيدي في قراءة القصص المسماة بالموالد هل هي سنة أم بدعة ؟ ومن أول من فعل ذلك ؟ وأي الموالد المتداولة بين أيدينا أحرى بالقراءة وأحسن ؟ فإن كثيرين من رجال المناصب يزعمون ان مولد الديبعي هو أمثل الموالد وأفضلها، وأن روح النبي ﷺ تحضر عند قراءته

(١) المنار ج ١٧ (١٩١٤) ص ١١١ .

خلافاً للموالد الأخرى . أرجو ان تتفضل بإزالة الأشكال والجواب على هـذا السؤال ولكم الفضل أولاً وآخراً ودمتم والسلام .

ج — هذه الموالد بدعة بلا نزاع ، وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصـة المولد النبوي أحد ملوك الشراكسة بمصر . وقد شرحنا ما في هذه الاحتفالات التي يسمونها الموالد بمصر في مجلد السنة الأولى من المنار ثم في غيره من المجلدات. ولم نطلع على قصة من قصص المولد النبوي الشريف إلا ورأينا فيهـا كثيراً من الأخبار الموضوعة . حتى جمع صديقنا عالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي من كتب الصحاح والسنن أصح وأمثل ما ورد في ذلك وسماه (شذرة من السيرة النبوية) وقد طبع في مطبعتنا، وصار محبو السنة ومبغضو البدعة يستغنون به عن تلك القصص المشحونة بالموضوعات والأكاذيب التي يؤثرها الجهال زعماً منهم انها أكثر تعظيماً للنبي ﷺ ، وقد أغناه الله تعالى بفضله العظيم عليه عن تعظيم غيره له بالكذب في سيرته . ولم نطلع على مولد الديبعي . فإن كان هو المحدث المشهور ، فالمرجو ان يكون ما كتبه خالياً من الموضوعات ، وان لم يخل من الضعاف التي يتسامحون بها في ذكر المناقب .

٤٨٨

قراءة البخاري لطلب النصر في الحرب[1]

من علي أفندي مهيب (بديوان عموم التلغرافات) بمصر (تأخر) .

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ رشيد رضا المحترم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد قرأت في الجرائد في الأيام الأولى للحرب الحاضرة بين الدولة العلية ودول البلقان ، ان صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر كلف حضرات العلماء بقراءة البخاري أمام القبلة طلباً للنصر من

(١) المنار ج ١٧ (١٩١٤) ص ١١٢ .